الرسالة التي أرسلتها إلى الرفيق جورج حاوي في دمشق حول جملة من المواضيع والأحداث في مقدمتها ما يتصل باختطاف ثلاثة من الدبلوماسيين السوفيات والإفراج عنهم – 1985:

الرفيق العزيز أبو أنيس

بعد التحية،

وصلت رسالتك. لا جديد عندنا هنا نضيفه إلى المعلومات الواردة فيها، سوى أنني التقيت البارحة بعاصم قانصو مسؤول منظمة حزب البعث في لبنان. فأخبرني بأنه مكلف بالاتصال برؤساء الحكومات السابقين والرئيس رشيد كرامي للذهاب إلى دمشق لحضور التوقيع على الاتفاق الثلاثي من قبل مسؤولي الأحزاب الثلاثة (نبيه بري عن حركة أمل وليد جنبلاط عن الحزب التقدمي الاشتراكي وإيلي حبيقة عن القوات اللبنانية).

وعندما التقيت بسركيس نعوم سألته بعض الأسئلة حول الوضع عندهم فأجابني بما يلي تقريبًا:

أولًا: أن إيلي حبيقة مستمر في خطه وموقفه وذاهب إلى التوقيع ولا خيار آخر له.

ثانيًا: أن عملية تضبيط الوضع داخل القوات مستمرة بطريقة التحديث وكسب الوقت، وجعل جعجع يخسر إمكانيات الرد. وكان هناك خياران آخران يحاول حبيقة تجنبهما: التصفية الجسدية، والمعركة التي سيسقط فيها موارنة ويصبح فيها جعجع شهيدًا.

ثالثًا: يستمر إيلي حبيقة في ترتيب الوضع مع القوى الأخرى، ويبدو أن الجميع يسايرونه، لأن لا حل ولا خيار لديهم سوى ذلك، بما في ذلك شمعون. أما الكسليك فقد استمال قسمًا كبيرًا منه واعتمد في ذلك على البطريرك خريش. في حين أن الجيش محير في الصراع. إلا أنه لا يريد أن يتورط في صراع مسيحي – مسيحي.

رابعًا: الرئيس أمين الجميل لا يزال يراوغ. ومن المحتمل أن يكون قد راهن على عمل ما تقوم به إسرائيل بواسطة لحد في جزين. إذ أن مثل هذا العمل سيؤدي بالضرورة إلى احتلال وليد جنبلاط لجزين. وسينتج عن ذلك أن إيلي حبيقة سيتلقى عددًا كبيرًا من الجثث المارونية والألوف من المهجرين الذين يكون قد تسبب فيهم حليف له في الاتفاق الثلاثي. وستكون تلك معضلة كبيرة لا تسمح له الظروف الراهنة بتحملها.

خامسًا: في موضوع حزب الكتائب المسالة سهلة. إذ لا يريد إيلي حبيقة إلغاء حزب الكتائب ولا يريد أن يستولي عليه هو شخصيًا. فهو يريد أن تبقى القوات هي وحدها حركته السياسية، ولكن يريد أن يصبح حزب الكتائب حزبًا حليفًا له لا معاديًا له.

ويتابع سركيس نعوم قائلًا: "باستثناء ذلك لا أملك معلومات، ولا يوجد هنا من يستطيع أن يعطي مثل هذه المعلومات. الكل يطلب ولا أحد يعطي".

لدى وصولي إلى السفارة السوفياتية التقيت سوسليكوف وبرنيليف، هنأتهما بالسلامة، وحاولت أن أحصل على معلومات فلم أنجح. كانا يتحدثان معي كما لو كنت صحفيًا. قالا لي إن الدبلوماسيين الثلاثة الذين كانوا مختطفين لا يزالون قيد الراحة، وهم لا يعرفون أين كانوا. والذين يعرفون العربية أدركوا بعض الشيء.، ولكنهم لا يزالون تحت هول الحدث. لم يكن قد جرى التحقيق معهم، وينتظرون إعطاءهم فرصة للراحة. سألتهما كيف وصل الدبلوماسيون من الاختطاف فقالا لي بأن سيارة حملتهم إلى نفس المكان الذي خطفوا منه وأخرجوا من السيارة بلباس رياضي حفاة وملتحين، وذهبوا من هناك مشيًا على الأقدام إلى السفارة. وكان ذلك في الساعة السابعة مساءً. سألت إذا كانت تقديراتنا حول الجهة التي ارتكبت الجريمة هي صحيحة، فلم ينفوا ولم يؤكدوا، ولكنهم قالوا بأنهم سيتابعون البحث بجدية، وأن المعلومات التي قدمناها لهم كانت مفيدة. وقالوا إنهم سيتّبعون سياسة تحول دون تكرار الجريمة، ومنها أنهم سيزورون كل التيارات الدينية. لكنهم اكتفوا بذكر الشيخ ماهر حمود، كمثل على ذلك.

طلبت منهما أن يعطوا للصحافيين الذين زاروهم للتهنئة وهم كثر، فقالوا إنهم لم يهتموا بالموضوع. وعندما كلفت أحد صحفيي جريدة النداء الاتصال بهم رفضوا إعطاءه لائحة بالذين زاروهم.

موقفهم حاسم في أنهم لن يتحدثوا للصحافة عن هذا الأمر.

في نهاية الجلسة التي كانوا فيها منشرحين، ولكن غير متعاونين كالعادة، سلموني نص رسالة جوابية على رسالتك إلى غورباتشوف وقعها شيفارنادزه. لم يعطوني النص الروسي بل الترجمة السيئة التي أُرسلها لك.

أكرم شهيب في الليلة ذاتها قال للياس عطاالله أن خضر سلامة وعماد مغنية الذين تكرر اسمهما طوال فترة الاختطاف هما اللذان أطلقا المخطوفين، ولم يزد على ذلك. لكن إلياس أفهمني أن أكرم لم يتعاون معنا في هذا الموضوع ولم ينسق، ولم يعطيا مثل ما أعطيناه نحن من المعلومات المتوفرة.

ليلة إطلاق المخطوفين كانت ليلة مشتعلة بالرصاص من كل نوع. كانت بيروت في عرس حقيقي، كان عرسًا مرعبًا. شاركنا نحن والاشتراكيين بشكل خاص في إطلاق النار، وأظن أن جميع الناس شاركت في الابتهاج؛ لأن بيروت في كل إحيائها اشتعلت بإطلاق الرصاص. وقد قلت للسوفيات أن هذا الاحتفال هو دليل عافية، شبيه بحملة استنكار اختطاف الدبلوماسيين التي لا مثيل لها.

بالإضافة إلى ذلك فقد علمنا أن رفيقًا يمنيًا من اليمن قد وصل إلى بيروت في نفس يوم إطلاق

المخطوفين، أجرى اتصالات واسعة. وكان على علاقة بالسوفيات والاشتراكيين. وعندما جاء لزيارتنا قبل ساعتين من سفره، تحدث عن المؤتمر اليمني واستمع لحديثنا عن الوضع السياسي، وودعنا. لم أسأله عن مهمته ولم يكن على استعداد كما يبدو لأن يخبرنا شيئًا. عندما أنهيت الحديث السياسي وقف معتذرًا ومودعًا.

جاءني في اليوم التالي ميشال الرحباني مسؤول مخابرات الجيش وروى لي بعض التفاصيل المتعلقة بالإفراج عن المخطوفين. وحسب روايته أن السوريين الذين عرفوا باعتقال خضر سلامة طلبوا تسليمه لهم من الاشتراكيين. الاشتراكيون فكروا أنه عندهم. وقد قرروا حتى لا يقعوا في إحراج أن يسلموه إلى السوفيات. وعند السوفيات بقي سلامة حتى الآن، وحققوا معه وتوصلوا إلى الإفراج عن المخطوفين بواسطته، وأمنوا له حياته وضمنوها له. وأذكر بالمناسبة أن برفيليبف كان قد أخبرني أن عرفات قد احتج على اعتقال خضر سلامة وحمّل السوفيات مسؤولية قطع الوساطة في الإفراج عن المخطوفين ونتائج ذلك. ولم يذكر لي قط أن خضر سلامة موجود عندهم. ويقول الرحباني إن غازي كنعان في يوم الإفراج عن المخطوفين طلب أن يسلم له خضر سلامة أو أن يجري معه التحقيق بوسائله حتى داخل السفارة السوفياتية، وأنه لن يسمح باستمرار الوضع على هذا النحو. ويقول الرحباني إن هذا الإلحاح من السوريين هو الذي عجل بإطلاق المخطوفين. ويؤكد الرحباني أن سيارة بيجو هي التي نقلتهم من شارع حمد إلى قرب معمل البلاط في وطى المصيطبة. ويؤكد أن معلوماته الأولى التي أبلغنا إياها وأبلغها للاشتراكيين هي الوحيدة الصحيحة، وقال إن معلوماته عن الموضوع كان يعطيها للسوريين. ويؤكد بالمناسبة أن عرفات تحدث بالتلفون مرة مع السيد محمد حسين فضل الله طالبًا إطلاق سراح الدبلوماسيين السوفيات، فأجاب السيد فضل الله بأن لا علاقة له بهذه القضية. فقال له عرفات بأنه لا يريد جوابًا من هذا النوع، جواب أطفال صغار. والملفت للنظر في حديث الرحباني أنه يؤكد أن المخطوفين كانوا محتجزين في شارع حمد عند الحبشي. ولم يكونوا عند حزب الله في شارع فتح الله كما كان يقول لي سابقًا. وقال إن السوريين كلفوا شاكر برجاوي بالمداهمة ولكنه كان يقوم بمداهمات شكلية، وأنه كان يوهمهم بأنه لهم، ولكنه في الأصل لسواهم. ويختم الرحباني بالقول بأن عرفات ربما لا يكون هو الخاطف الأساسي، وأن جماعته الموجودين عند حزب الله والحبشي، وسواهما هم الذين قاموا بعملية الاختطاف لقاء مبلغ من المال، دون أن يكون ذلك بالضرورة بتوجيه من عرفات. وربما يكون عرفات قد استفاد من عملية الاختطاف ليوظفها لمصلحته. ويتابع الرحباني قائلًا بأن كثيرين عملوا ويعملون الآن، وربما في المستقبل أيضًا، لتثمير ما حصل ومحاولة القول بأنهم هم الذين أطلقوا السوفيات. أما هو فلا يريد أن يذكر اسمه إلا معنا ومع السوفيات فضلًا عن السوريين.

الواضح أن هناك حفلة تكاذب وكذب رسمي من قبل العديدين، وأننا نحن كحزب لا نملك كل المعطيات، ورغم أننا نملك قسمًا منها؛ فإن رفاقنا السوفيات والاشتراكيين لم يتعاونوا معنا. وإذا استمر الأمر كذلك فلست

أدري كيف يمكن الوصول إلى استنتاج حقيقي سليم حول الموضوع وأبعاده.

هذه المسألة تصبح مزعجة لنا. ولا يجوز أن يستمر الوضع كذلك. ولا أدري كيف يمكن معالجة هذا الأمر.

أعلمك أخيرًا بأننا قررنا الاحتفال يوم الأربعاء في أوتيل البوريفاج بذكرى ثورة أكتوبر، سنحشد عددًا كبيرًا من الشخصيات وقادة الأحزاب من كل الاتجاهات. اتفقنا على ذلك مع الاشتراكيين والسوفيات. وسيتكلم فؤاد شبقلو باسم جمعية الصداقة اللبنانية السوفياتية، وأحد أركان السفارة. ويلي الاحتفال كوكتيل.

هذا ما لدينا. وإلى اللقاء يوم الثلاثاء، وقبل ذلك إذا كانت الضرورة تقضي. أما الكتاب الذي تنتظره فسأرسله لك غدًا بعد أن ينتهي من الصف.

كريم مروة

بيروت في 1985/11/2